Conférence de M Mohammad Barakat

L'Imam Ouzaï, précurseur de la convivialité islamo-chrétienne

Le 6 juillet 2015

عاش الاوزاعي ما بين القرنين الاول والثاني للهجرة، في عصر شديد الاضطراب، شهد سقوط خلافة بني امية وقيام الخلافة العباسية. نعني انه عايش 12 خليفة وملكاً امياً وعباسياً.

اول امثولة نستحضرها لنستمد نهج الاوزاعي النافع، إن تفهمناه وعشناه عملياً في حياتنا الآن وفي كل الظروف والتقلبات، هي انه عاش مستقلاً مهاب الجانب لا يخشى في الحق لومة لائم.

لم يكن الاوزاعي من قبيلة ذات شأن في الحال او المال. ولد يتيماً وفقيراً في كنف امه التي عاش معها في دمشق وحماة وحلب وغيرها. كوّنَ نفسه برعاية أمه - وهنا درسٌ عن مكانة المرأة الارملة التي رَبّت احد اعظم الأئمة الذي بلغ ارفع المراتب.
والإقتداء بالاوزاعي، واحد زمانه وإمام عصره، هو ما تستفيد منه الاجيال في تربية النشء وفي ان نقدر أهمية الأم الأرملة وان لا نقمع الرغبة في التنقل والاسفار.

الآن، الاوزاعي هو اسم لمنطقة ومقبرة ومكان للتبرك ولتقبل النذور. ولقد إستكثرت سوليدير إعادة تسمية زاوية في سوق الطويلة كانت تُعرف منذ 1300 سنة بأنها زاوية الاوزاعي.

وما يتعين علينا فعله للاوزاعي كشخصية عاشت بيننا ودفنت في تراب وطننا وكانت بيروت هي مقامه وموئل علمه، وهو لكونه موضع اعتزاز اللبنانيين بما قام به من دور انساني جامع ومتسامح - جائزة الاوزاعي في التسامح، هو ان نفهم برقي وحضارة سلوكه في المرابطة التي كلها ابتداع.
فالمرابط يتابع حياته في العلم والانتاج والعمل، حتى اذا حصل غزو هبّ للدفاع عن الثغور في وجه المعتدين. انه مدافع وليس مهاجم.

وما يهمنا اليوم هو ان نكتشف، على نحو اعمق وأهم، بيروت التي اختارها الاوزاعي موطناً ومنارة لعلمه حيث كان يُقصَد اليها. فلقد جعل لبيروت بوجوده مكانة في العلم والاجتهاد، حتى قيل انه اجتهد وحلّ في عشرين الف مسألة، مع انها لم تكن تضاهي قبل او بعد ان قصدها الاوزاعي، دمشق والقاهرة وبغداد وغيرها.

ولقد تمكن الاوزاعي من ان يحظى بمكانة علمية في عصر ذهبي عاصر فيه ابرز العلماء وحاورهم وناقشهم بعلمه وبفهمه وبجرأته في الحق، وعاش للعلم والمرابطة والسعي لخدمة الدين.

ترفع الاوزاعي عن الأعطية التي كانت تقدم اليه او توضع بتصرفه ومات ومعه ما كفى عائلته لتكفينه ودفنه.
كان اماماً مسموع الكلمة ورفض القضاء مترفعا عن هذا الابتلاء، مع ان القضاة كثيراً ما كانوا يستعينون بفهمه واجتهاداته.

كذلك كان الاوزاعي قدوة للاجيال في محاربة الفتن والجهل والبدع. ففي ايام خلافة العباسيين، حصلت فتنة المنيطرة من اعمال بعلبك، فتدخّل الاوزاعي لدرء الفتنة والدفاع عن الحق والعدل وكتب الى الوالي منتقداً كيف تُأخذ العامة بذنوب الخاصة، والله عزّ وجلّ يقول "ولا تزر وازرةً وزرَ اخرى". فكان ملاذاً للمسلمين وللمسيحين، وحتى اليوم فإن قبره والمسجد هما مَقصداً.

لماذا لا نقتدي اليوم بالاوزاعي ونتذكّر؟
" لا شيء يتأخر بل يُستدرَك. وعلينا ان نقول قليلاً وان نعمل كثيراً، كي لا تكون من المنافقين الذين يعملون قليلاً ويقولون كثيراً.

****